فؤاد توما: ستّون عاماً «ع الخطّ»

لبنان | مجتمع

نقولا ابو رجيلي
الجمعة 20 نيسان 2012

يتحسّر فؤاد توما على حقبة امتدت من أوائل خمسينيات القرن الماضي، حتى بداية الحرب اللبنانيّة في عام 1975. «رزق الله على هيديك الأيام. كانت أجرة الراكب من زحلة الى بيروت ليرتين، كنا نشتغل حتى منتصف الليل ونعمل ردّتين و3 ردّات باليوم. أما حالياً، بالكاد عم نتزل ونطلع مرة واحدة»، يقول أبو ميشال الذي كان قد اشترى أول سيارة عام 1952، عمل عليها بالأجرة فترة سنتين من دون «دفتر سواقة»، ليخضع بعدها للامتحان في قيادة الآليات الخفيفة. يذكر أن المركز كان آنذاك في منطقة وادي شحرور، وقد استحصل بنتيجته

على رخصة سوق عموميّة، لا تزال بحوزته وتحمل الرقم 47697 .

بدأ توما مزاولة «كار الشوفرة» ضمن أحياء مدينته زحلة، حين كان ثمن صفيحة البنزين 7 ليرات، وأجرة التاكسي تراوح بين 50 قرشاً وليرة، و«السرفيس» ضمن المدينة ربع ليرة، ليرتفع السعر تصاعدياً، بحسب طول المسافة بين منطقة وأخرى في البقاع. في مرحلة لاحقة، «سجّلت سيارتي بمكتب لتنظيم عمل السرفيسات على خطّ زحلة ـ الدورة في بيروت». أوقات صعبة عاشها توما وزملاء المهنة في الأزمات والخضّات الأمنيّة التي مرّت على لبنان، أبشعها كان خلال سنوات الحرب الأهليّة، «لم نترك طريقاً تعتب علينا إلا سلكناها لنقل الركاب من زحلة الى بيروت وبالعكس، بعدما أقفلت معظم المنافذ المؤدية الى العاصمة». يبسط الرجل كفّ يده، ليبدأ بعدها بطيّ أصابعه واحداً تلو الآخر: طرقات ضهر البيدر، ضهور الشوير، عيون السيمان، عيناتا الأرز ـ بشري، الهرمل ـ القبيات، حمانا ـ المونتيفردي، عاليه ـ الشويفات (طريق الكرامة)، عين دارة ـ دير القمر ـ الدامور، مشغرة ـ مرجعيون ـ طريق الجنوب الساحليّة. ويلفت إلى أن بعض الرحلات لم تكن تخلو من المغامرة لقطع المسافات بين خطوط التماس، تحت نيران الرشاشات والقذائف، وكثيرة هي المرّات التي اضطر فيها توما الى العودة أدراجه بسبب احتدام المعارك على الجبهات. ورداً على سؤال، يقول «طبعاً كانت الأجرة تتضاعف بحسب طول المسافات وخطورة الوضع الأمني، أما حالياً، ومع ارتفاع أسعار المحروقات، فقد أصبحت التسعيرة 10 آلاف ليرة».

لم يتذمّر توما يوماً من مهنته، وكذلك الأمر شريكة حياته «لحم اكتافي من خير هالكار،

لبنان

خطة لبنانية يوافق عليها صندوق النقد

الأخبار

ثقافة

من إيما ستون إلى مارك رافالو: «باراماونت» تُمارس التطهير على خط...

علي سرور

لبنان

تقرير من «الليطاني» إلى هيئة المياه حول الخطة العلاجية الطارئة

الأخبار



ربّيت عيلة من شاب وصبيّتين، إحداهما تزوجت، وميشال درس الهندسة الموسيقية ويعمل في مجالها». يؤكد أنه سيبقى خلف مقود سيارته الأميركية الصنع، طالما ساعدته صحته على ذلك. ويقلل من أهميّة ما حصل معه من حوادث سير على طرقات أمضى عمره يتنقل على منعطفاتها الخطرة وفوق حفرها، متوقفاً عند حادث خطير تعرض له على طريق ضهر البيدر، يوم انزلقت شاحنة عسكريّة واصطدمت بسيارته، ما أدى، في حينه، الى إصابة الركاب بجروح بليغة ومتوسطة، ما استدعى نقلهم الى المستشفى و«الحمدالله مضت على خير، وأكلنا نصيبنا بتحطم جزء كبير من هيكل السيارة».

عن الأمانة في حفظ أسرار ما يدور بين زبائنه من أحاديث، وما يمكن أن يغفلوا حمله من السيارة، يقول «بير غميق. للناس همومها ومشاكلها، وما يحصل داخل السيارة يتبخّر مع نزول الركاب منها، وكأنني لم أسمع أو أرَ شيئاً، فيما تسلّم الأغراض الى مكتب مركز الانطلاق لإعادتها الى أصحابها بعد التثبت من صحة ادعاءاتهم». أما عن طريقة التعاطي مع الركاب، فهي تغيّرت كثيراً بين جيل السائقين القديم و«شوفيرية هالإيام»، لأن معظم هؤلاء، «بالأخص سائقي الفانات، شوّهوا سمعة المهنة، ولا يتمتعون بالحدّ الأدنى من اللياقة في التعاطي مع الزبائن».

وعن علاقته مع قدامى رجال شرطة السير والحاليين منهم، يصفها توما بالجيدة، «لا يخلو الأمر من كمّ ظبط أكلناهم في بعض الأوقات، إما بسبب ركن سيارتي في مكان ممنوع الوقوف، أو بسبب الحمولة الزائدة في عدد الركاب»، مطالباً بإعادة تأهيل معظم رجال السير، الذين كانوا في ما مضى ينفذون القوانين بحذافيرها، فيما يتساهل البعض منهم حالياً مع المخالفين لأنظمة المرور، من خلال غضّ النظر عن مئات التجاوزات التي تحصل يومياً، وبالأخص

السيارات الخصوصيّة التي تعمل بالأجرة، ويستخدمها لبنانيون وأجانب، نصفهم لا يملك رخصة سير.

انتقادات الرجل الثمانيني لم تستثن المسؤولين، لجهة الضمان الصحي والاجتماعي، سائلاً في هذا الإطار، «هل يعقل أن تتوقف الدولة عن تغطية نفقات الطبابة والاستشفاء للمسجّلين في الضمان من الذين تجاوزت أعمارهم 64 عاماً؟ وما حاجة هؤلاء إلى هذه الخدمات عندما كانوا في مقتبل العمر؟ ما هو مصير ضمان الشيخوخة الذي مضى على دراسته عشرات السنين ولم يتحقق بعد؟». أسئلة يضعها توما برسم الجهات المختصة.

بعيداً عن مآسي الحرب وهموم العمل، لم تسعف الذاكرة العمّ فؤاد، ليروي قصة طريفة حصلت معه أثناء مزاولة مهنته طوال عشرات السنين. «العمر إلو حق، قصص كتيري راحت عن بالي». يضع رأسه بين كفّيه علّه يتذكّر أياً منها، هنا يتدخل أحد السائقين، ليسرد قصة طريفة دارت فصولها في منتصف ستينيات القرن الماضي، بطلها زميل لهم. الأخير كان قد توجّه يوماً الى أمام مدخل أحد المصارف، ليقلّ أحد الركاب الأغنياء من زحلة الى بيروت، هناك فتح رجل الأعمال باب السيارة الخلفي وما لبث أن أغلقه، ثم عاد أدراجه الى داخل المصرف لسبب ما. في هذه الأثناء، ظن السائق أن زبونه جلس على المقعد، فانطلق من دون الالتفات الى الوراء، وتابع سيره باتجاه طريق ضهر البيدر، وبوصوله الى محلة مستديرة الصياد، سأل الراكب مرتين عن الجهة التي يقصدها، فلم يأته أي جواب، عندها جال بنظره الى المقعد الخلفي ليكتشف بأنه يحاكي نفسه، وكانت ردة فعله بأن لطم كف يده على جبينه. لم تنته فصول القصة، وللحديث صلة، يتابع السائق: «استدار زميلنا بسيارته متوجهاً الى زحلة، وبعدما قطع مسافة

2 كيلومتر، توقف فجأة وضرب بقبضة يده على المقود، محدثاً نفسه، شو أنا أخوت لأرجع على زحلة فاضي، ما بيكفي الضرب اللي أكلناه. ليش ما برجع على الدورة وبعبّي طلب ركاب». وهذا ما حصل بالفعل، يختم ضاحكاً.

انقطاع لسنة ونصف

سنة ونصف، هي المدة التي انقطع فيها فؤاد توما عن مزاولة مهنته، ليعود إليها مقفلاً محل سمانة كان قد استأجره خلال الحرب الأهليّة. لم تستهوه السياسة والأحزاب، لهذا كان يتجوّل في مختلف المناطق في أحلك الظروف، ويجتاز جميع حواجز الميليشيات مهما كان لونها وانتماؤها الطائفي والمذهبي